(٣)

الله وراء دين الرحمن بعلمه وعزته
والله وراء دين الشيطان بحلمه وحكمته
فما يكون الصلاح وكيف يكون الإصلاح؟

حديث الجمعة

٤ رمضان ١٣٨١ هـ - ٩ فبراير ١٩٦٢ م

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا مثَّل لنا عبده ورسوله. أشهد أن لا إله إلا الله، حصنه القديم، وخلقه الجديد، ووعده على بدء يعيد. أشهد أن لا إله إلا الله، إحاطة الإنسان بالإنسان، في الإنسان، للإنسان، عَلَمًا على ما يحيطه به من الله عبدا له. أشهد أن لا إله إلا الله من أَرسل، وأشهد أن لا إله إلا الله من أُرسل، وأشهد أن لا إله إلا الله، من أُرسِل إليه عند كل من سمعها فلباها، ولبى نداء الله فيها بمعناها ومغناها.

إذا لم يقم الدين على أساس من الواقع، وعلى أساس من الإدراك، وعلى أساس من الحس، وعلى أساس من الوعي، وعلى أساس من الرضا، وعلى أساس من القبول والاستزادة، فليس هناك قيام للدين. إن الدين إنما هو في معرفة الإنسان عن نفسه، عن قديمه، عن قائمه، عن قادمه، عن مستقبله، عن أمره في الوجود، آمرا ومأمورا ومحلا لقيام الأمر، ولتلبية الأمر، ولحمل الأمر من الآمر إلى المأمور. إن الإنسان في ذاته من ظاهره، وإن الإنسان في معناه من باطنه، وإن الإنسان في علمه عما علم من معلومه، وفي علمه عما لم يعلم، وفي علمه عن عجزه عن العلم بمطلوب، أو مغفل عنده ليعلمه.. إن الإنسان في تشريحه من أمر رأسه بين كتفيه كيف تنتصب، ومن أمر صدره وما بين جنبيه كيف يشعل، ومن أمر ضفيرته الشمسية، وما تحت الحجاب الحاجز، وكيف يعمل وينشط، ومن أمر أطراف أسفله، وكيف يحمل ويتحرك، أو أطراف أعلاه وكيف يتعامل، وجوارحه برأسه من لسان وشفتين، من أنف وأذنين، من جهاز وعي وعينين، وكيف نتآلف ونتعاون.. إن الإنسان بتكوينه هذا من مادياته من وحدات وأبعاض في ذات ونفس واحد، أبعاض جمعتها وحدته وشملتها ذاته، تمثلت بها وحدانيته في أحديته، كما مثلت فيه الأبعاض صفاته. فالإنسان من حيث ظاهره على ما هو

ظاهر، إنما هو واحد وأجزاء الواحد. والإنسان على ما هو ظاهر يعنون ما هو معناه من حقائق.. من حقائق الزمن بقديمه من الآباء، وبحاضره من الأحدية، وبقابله من مفردات في وحدة من بيت وأسرة، ومن حقائق المعاني بمعلومه ومجهوله وما يصدر عنه. إن الإنسان في فرده هو عين الإنسان في جمعه، ما تجمعت مفرداته تكون منها جسد واحد لذات واحد هي آدم الذي هو ذات الإنسان، وتكون منها روح واحد هو روح الله هو روح الرحمن، وتكون منها نفس واحد مصدرا للقدرة والطاقة، ومصدرا للعلم والمعرفة بمحصلة وحدته وحدة من وحدات الوجود للموجد هو من ورائها محيط، وبها على كل شيء قائم.

إن الإنسان يمثل الحقيقة الكبرى للوجود، بفرده وبجمعه. إنه بجمعه، وإنه بمفرداته، مظهر الحياة في كلياتها، يمثل الوجود في شهوده وفي قيامه وفي غيبه. يتكلم الناس عن الإصلاح وعن الصلاح، وهم فيما يتكلمون فيه إنما يتكلمون عن ألوانهم، إنما يتكلمون عما هو قائم في معانيهم من أنفسهم، وما هم إلا ألوان لحق واحد ولصلاح واحد ولاصطلاح واحد ولإصلاح واحد. إن بداية الصلاح وبداية الإصلاح، إنما هي في أن يبدأ الناس أن يعرفوا أن ما يقوم فيهم وما يقوم في غيرهم، أيا ما كانوا، إنما هو أمر واحد، يجب أن يتجمع وأن يتناثر لهدف وغاية، وإن بدت ألوانه مختلفة أو متضاربة. فالقائم على كل نفس هو حق واحد. والذي من وراء الكل محيط إنما هو قيام واحد. والذي يقوم به الوجود هو أمر واحد. وإن هذا التلون في المفردات، وهذا التصنيف في الآيات، وهذا الذي يبدو متعارضا في اجتماعه ومتناقضا في إبداعه، إنما هو جمال الله، إنما هو جمال الحقيقة، إنما هو جمال الوجود، إنما هو جمال البستان، إنما هو جمال الزهور والورود، إنما هو جمال الحياة، إنما هو جمال الحركة، إنما هو جمال التناسق والتلوين.

إن التنافر والتواد.. إن الخشية والحب.. إن الجزع والسكينة.. إن الهلع والهدوء.. إن الحركة والسكون.. إن الكفر والإيمان.. إن الطاعة والمعصية.. إن الإدبار والإقبال.. إن كل ذلك وما إليه، إنما هو عناصر الحياة تقوم في الفرد في المعركة الكبرى بين جوانحه، معركة الضمير والعقل.. معركة الحرية والذل.. معركة الضيق والسعة.. معركة الكبت والانطلاق.. في الفرد وفي الجماعة، في الجماعات وفي الجنس، في الجنس وفي طبقات الجنس، ما يعلوه وما يسفله من طبقاته هو منها أو هي منه. كل ذلك إنما هو الحياة، وجمال الحياة. وما الحياة إلا ساحة الحي القيوم، ساحة المطلق، ساحة الوجود. وما الله إلا وجود الموجد لكل موجود يخرج من غيبه بما أوجد كل موجود فيه بما أوجد به. هذا هو الله عند كل موجود أدركه بما أوجد. الإنسان في حقيقة الله خالق ومخلوق، مخلوق لا ينتهي إبداع صانعه به وإبداع صانعه فيه، لا ينقطع وصفه عن صفة المخلوق فيه وصف الخالق أبدا وسرمدا كما

كان قديما وأزلا، ولا ينقطع وصفه بصفة الخالق وهو في صفة المخلوق أبدا إذ لا يتوقف فعل قديمه به أو فعله في جديده أبدا، ولا ينقطع عن الخلق والإبداع قائمه أبدا، وسيبقى كذلك خالقا ما كان في الله مخلوقا نسب نفسه الى ربه خالقا، وانتسب بمعناه إليه مخلوقا عرف ربه خالقا له ولما خلق، وعرف نفسه مخلوقا منه به هو الخالق. وبذلك عرف الإنسان معنى الحق لمبدعه كما عرف معنى الحق لنفسه، وشهد معنى الحق فيه لما خلق لأنه وإن كان منه مخلوقا، فسيكون منه فيه وعلى مثاله به ما يخلق، على ما خلق خالقه من خلقه وما خلق، فيعرف أنه في الله في طريق نمو، ورقي، وتعال، وتدان، وانتشار، وحيوية في قيام وقيومية لا تتوقف أبدا.

إذا عرف الإنسان نفسه، وعرف في معرفة نفسه كتاب ربه عرف الإنسان صنعه، وعرف في صنعه عينه، وبذلك عرف الإنسان حقيته ولقي حقه فقام الإنسان قيامته في معاني قيامه بمعناه، إنسانا لمولاه، ومولى به لصنعه، يرى حقية الله فيما قبله كما يرى حقية الله فيما بعده، فيعرف حقية الله فيه، ويدرك ويشهد حقية الله فيه فيدخل في حصن وحدانيته، فيشهد أنه لا إله إلا الله. فإذا شهد أنه لا إله إلا الله، وشهد لمعلمه أنه ما كان إلا لا إله إلا الله شهد أن محمدا رسول الله، فشهد الله بمحمد رسول الله يشهده لنفسه، وشهد محمدا رسول الله بشهادة لا إله إلا الله يشهده ربه، فيعرف أن الإنسان ما صلح كان كلمة لله وذكرا لله وروحا لله قوامها الله ورسول الله، فعرف كيف أن أبعاض الواحد تقوم الواحد، وكيف أن الواحد يقوم أبعاضه بوجوهه وأسمائه وصفاته، وبذلك يعرف الدين، ويقوم الدين، ويصير هو الدين، فيظهره على الدين كله دين الشيطان ودين الرحمن، لا يجزع من دين الشيطان وأهله، ولا يتعالى بدين الرحمن وأهله، فالله من وراء الكل محيط. هدى الناس وهدى الإنسان.. هداه السبيل إما شاكرا وإما كفورا، فيحمد الله إن كان من المؤمنين، ولا ييأس من رحمة الله إن رآه من الضالين، فيعلم ويطلب من يجمع المتناجين ثلاثة كانوا أو أقلين أو أكثرين، متآلفين أو متنافرين. استغفر الله لي ولكم، وأحمد الله لي ولكم، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله لي ولكم.

اللهم إنا إليك نجأر وبك نستعين، اللهم فاكشف عنا حجب الغفلة، اللهم خذ بنواصينا لطريق الحق، اللهم خذ بنواصينا في سبيل النجاة والسلامة. اللهم كن لنا في الصغير والكبير من شأننا. اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا. اللهم ادفع عنا من البلاء ما نعلم، وما لا نعلم، وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم. اللهم ارحمنا برسول رحمتك، واغفر لنا وتب علينا بجاهه عندك، وألف اللهم بين قلوبنا بنوره، ولا تتركنا لأنفسنا طرفة عين ولا أدنى من ذلك بعيدا عنه، وعافنا من إقامة عدلك فينا

بوصلته، وعاملنا بعفوك ورحمتك بنعمته. اللهم تولَنا برحمتك حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، مجاهدين ومتابعين، يقظين وغافلين. اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا.

أضواء على الطريق

(ما يجب عليكم محاولة تعلمه هو أن كرم الروح الأعظم يجب أن يوزع بين الناس بالقسطاس المستقيم. عندكم أناس ليس لديهم من الزاد ما يسد الرمق، وعندكم آخرون لديهم من الطعام ما يتخمهم. هذا خطأ بالطبع، عليكم أن توزعوا ما عندكم من أرزاق على من لديكم من الناس، أليس هذا أمرا يسيرا!)